

التبيان في تفسير القرآن

(55) قد ملك الله كثيرا من خلقه الامر والنهي والضر والنفع. ثم قال " ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا " معناه لا يخاصم في دفع حجج الله وإنكارها وجحدها إلا الذين يجحدون نعم الله ويكفرون بآياته وأدلته. ثم قال لنبيه " فلا يغرك " يا محمد " تقلبهم في البلاد " أي تصرفهم لقولهم: لفلان مال يتقلب فيه أي يتصرف فيه. والمعنى لا يغرك سلامتهم وإمهالهم، فان عاقبتهم تصير إلي ولا يفوتونني. وفي ذلك غاية التهديد. ثم بين ذلك بأن قال " كذبت قبلهم " أي قبل هؤلاء الكفار " قوم نوح " بان جحدوا نبوته " والاحزاب من بعدهم " أيضا كذبوا رسلهم " وهمت كل أمة برسولهم " وإنما قال برسولهم لانه اراد الرجال. وفي قراءة عبداً " برسولها ليأخذه " قال قتادة هموا به ليقتلوه " وجادلوا بالباطل " أي وخصموا في دفع الحق بباطل من القول. وفي ذلك دليل على ان الجدل إذا كان بحق كان جائزا " ليد حضوا به الحق " أي ليبطلوا الحق الذي بينه الله وأظهره ويزيلوه، يقال: أدهض الله حجة. وقال تعالى " حجتهم داحضة عند ربهم " (1) أي زائلة. ثم قال " فاخذتهم " أي فأهلكتهم ودمرت عليهم " فكيف كان عقاب " فما الذي يؤمن هؤلاء من مثل ذلك؟ ! قوله تعالى: (وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) (6) الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت

(1) سورة 42 الشورى آية 16